

الدلالات الإيحائية في القرآن الكريم وترجمتهما

زهرة سعد الله

جامعة وهران - الجزائر -

saadallahchahra@gmail.com

لقد أجمعت الدراسات العربية والغربية، القديمة منها والحديثة، على أن القرآن الكريم معجز بلغته صوتا ولفظا وتركيبا وأسلوبا، فهو متعال عن الزمان والمكان. مركّز على مجموعة من الدعائم الذي تضمن سيرورته وخلوده، فالخطاب الإلهي يعد بحق قاعدة تأسيسية للمعارف الإنسانية في كل زمان ومكان.

لذلك، فقد احتلت لغة القرآن بؤرة اهتمام العلماء والدارسين بمختلف مشاربهم وتوجهاتهم العلمية، بغية الكشف عن أسرار إعجازه، والوقوف على جوانب انسجام وتناسق أصواته وألفاظه وجمله وعباراته، ليكون في النهاية أرقى نص، وأبلغ خطاب لم تجد به قريحة إنسان منذ الخلق إلى يوم البعث "فهو يتخير حروف الكلمة وينتقي أصواتها صافية الذوق في مخارجها، لذيدة السماع، طيبة الجرى على اللسان معتدلة في تأليفها خفيفة في الفم، نازلة على أحسن هيئة في الإيقاع، قوية الإيحاء شديدة البعث لما تتضمنه من المعاني المرادة والأهداف المقصودة من الآيات الكريمة، لذلك نجد تناسقها عجيبا في تركيب حروف القرآن بين الرخو منها والمهموس، والممدود والمقطوع، والإمالة والروم والإشمام، ونجد أن اجتماعها مع بعضها يؤلف نغما مطربا يظهر أثره في صوت القارئ".⁽¹⁾

فليس غريبا إذن أن يحثنا القرآن على الاهتمام بحاسة السمع، والقراءة الجيدة لآياته يقول عز وجل ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المائدة/83. وقوله أيضا: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ الملك/10. وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ القيامة/18. ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الإسراء/106.

هذه الآيات كلها تدعو إلى الاستماع إلى القرآن قراءة وترتيلا وتجويدا، حتى نحس بكل صوت وكلمة وجملته وعبارته، ونتلقى النص كلمة واحدة، لا يمكن أن يتوصل إلى كنهها إلا العارف بخبايا لغة القرآن، يقول عليه الصلاة والسلام "من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأ على قراءة ابن أم عبد يعني ابن مسعود".⁽²⁾ ذلك لأن ألفاظ القرآن على حد قول الرافعي "إذا اشتدت فأمواج البحار الزاجرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة فمنها جنتها وصرامها، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإذا أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب".⁽³⁾

من هنا، كان الانسجام الصوتي والتناسق اللفظي في القرآن الكريم نسيج وحده مخالف لما عهده العرب من إيقاع في شعرهم وكلامهم المنمق المسجوع وفي أساليبهم البيانية. خصائص انفردت بها آيات الذكر الحكيم، لا نجد لها مثيلا في أي لغة في العالم، لذلك كله أصبحت مسألة ترجمة القرآن إلى لغة أخرى إشكالية كبرى، شغلت الكثير من العلماء والدارسين في السنوات الأخيرة. والكل أجمع على أن ما نسميه ترجمة للقرآن الكريم هو عبارة عن نقل لبعض

المفاهيم والأحكام الشرعية، وشرح لبعض المعاني بهدف تيسير قراءته لمن لا يعرف اللغة العربية، ولا تعد بأي حال من الأحوال قرآناً، ولا يمكن اعتمادها لنشر تعاليم الإسلام، ولقد وجهت لكثير منها انتقادات كبيرة في الطريقة التي تناول بها المترجم اللفظ القرآني.

فإذا اشتربنا على المترجم أن يكون متكلماً مستمعاً مثالياً للغة النص الأصلي واللغة المستهدفة؛ أي أن يكون على حد قول نوا م تشومسكي Noam Chomsky متصفاً بصفة الكفاءة والأداء La compétence et la performance ليتمكن من نقل النص إلى لغة مستهدفة، بطريقة تجعله يحاور اللفظ ويداور المعنى حتى يكشف خبايا النص ويستأنس ببعض الدلالات الخفية التي تحويها الألفاظ المؤلفة له، ومن ثمة نقلها بصورة يكون فيها النص أقرب إلى صورته الأصلية. إذن، فماذا يشترط على من يسعى إلى ترجمة لغة القرآن، إلا أن يكون عارفاً بضوابط اللغة العربية وخصائصها الأسلوبية، وملماً إلماماً شاملاً ودقيقاً بكل ما ألف في تفسير كلام الله وتأويل ما أشكل فهمه وإعرايه؟ هذا، ناهيك عن معرفته بالفقه والتشريع الإسلامي، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول.

ولكي نعرف ما إذا كانت ترجمة الدلالات الإيحائية في القرآن الكريم لا تشكل حجر عثرة أمام المترجم، رجعنا إلى إحدى هذه الترجمات التي اعتنت بترجمة معاني القرآن الكريم. ولقد تكفلت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية بمسؤولية مراجعة النسخة المقترحة طباعتها وتصحيحها، ولقد أسندت هذه المهمة إلى أساتذة مؤهلين تأهيلاً شرعياً عالياً إضافة إلى إجادتهم اللغة الفرنسية.

ولتذليل الصعاب استعان العلماء بترجمة الأستاذ الدكتور "محمد حميد الله" بوصفها أفضل ترجمات القرآن الكريم، لما امتازت به من قوة الأسلوب وجزالة المعاني، بالإضافة إلى توجيههم الدقة العلمية في تعاملهم مع اللفظ القرآني، وذلك بعرض الترجمة على أربع لجان، بحيث تعمل كل لجنة على مراجعة عمل اللجنة التي سبقتها ومقارنة الآراء الواردة في موضوع معين، واستخلاص نص واحد معتمد وسليم من الملاحظات قدر المستطاع.

وسنقف على بعض هذه المعاني المترجمة باللغة الفرنسية بدءاً بالمستوى الصوتي وصولاً إلى الخطاب القرآني.

1- المستوى الصوتي:

لقد حقق القرآن الكريم التوازنات الصوتية بنجاح في العديد من السور، ولا زال ذلك التناغم الموجود في الفواصل، وفي تكرار بعض الحروف أو الكلمات أو الجمل، يشغل الباحثين، إذ لم يجدوا له مثيلاً في أشعار العرب ونثرهم، نأخذ على سبيل المثال الحروف المقطوعة التي لم يفصل علماء التفسير في معناها، فمنهم من اجتهد وآخر تجنب الحديث عنها تاركاً معناها لله عز وجل، مما دفع المترجمين للقرآن الكريم إلى تركها على حالها، محاولين إيجاد ما يوافقها من الحروف باللغة الفرنسية مثال قوله تعالى في بداية سورة البقرة (ألم) ترجمت بـ ALIF، MIM, LĀM .

وألحق بهامش الترجمة هذا التعليق — فيما معناه:

السور 2، 3، 7، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 19، 20، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 36، 38، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 50، و68. لم تبدأ

بكلمات بل بدأت بحروف مقطوعة لم يتبين معناها، والظاهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفصل في معناها، وآراء المفسرين فيها متباينة لذلك تركناها على حالها"،⁽⁴⁾ وهذا عين الصواب.

إضافة إلى التحنيس المتوازي الموجود بين الآيات في السورة الواحدة، والذي يضيف عليها إيقاعا موسيقيا خاصا، يخترق القلوب، ويشد العقول إلى حمولة معرفية تختزنها كلماته، قد لا نتوصل إليها في قراءتنا للنص المترجم، الخالي من ذلك التناغم والإيقاع القرآني.

أما التكرار- الذي يجمع المفسرون على أنه جاء في القرآن الكريم ليجسد قوة التركيز الدلالي، لأنه يضطلع بدور الآلية الدلالية التي تؤكد وصفا قائما- فهو ليس معطى زائدا في الخطاب القرآني⁽⁵⁾ لا نجد أثرا له في النص المترجم، وعلى سبيل المثال: ترجم قوله سبحانه وتعالى في الآية 286 من سورة البقرة ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بقولهم:

286. Allah n'impose à aucune âme une charge supérieure à sa capacité, elle sera récompensée du bien qu'elle aura fait, punie du mal qu'elle aura fait.

فالتنوع الموجود بين "كسب" و"اكتسب" هو تنوع في المعنى، يقول الزمخشري في تفسير الآية: "ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر، لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها، فإن قلت: لم خص الخير بالكسب، والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما

تشتهي النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير، وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتماد أي لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن فرط منا".⁽⁶⁾ وقد وافقه في الرأي أبو حيان وغيره.

وتلك معان لا يمكن التوصل إليها من خلال النص المترجم، غير أن بعض المفسرين ساوى بين "الكسب" و"الاكتساب" وجعل "افتعل" بمعنى "فعل" فتكون إذ ذاك الترجمة سليمة إلى حد ما.

وفي موضع آخر يترجم قوله في الآية 08 من سورة الأنفال ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. بقولهم:

08. Afin qu'il fasse triompher la vérité et anéantir le faux, en dépit de la répulsion qu'en avaient les Criminels.

لقد أفقدت الترجمة النص الأصلي أبعاده الدلالية والسياقية والجمالية الواضحة في تأكيد الفعل بمصدره:

الحق	↔	يحق
الباطل	↔	يبطل

والأمثلة كثيرة لاسيما في المواضيع التي كررت فيها آية بكاملها، مثل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من سورة الرحمن، والتي كررت إحدى وثلاثين مرة في سورة تشمل ثمان وسبعين آية، ولم يكن يقصد من هذا التكرار التنويع الإيقاعي فقط بل تجاوز ذلك إلى التأكيد والتنبيه والتحريك؛⁽⁷⁾ إذ تعد الآية لب هذه السورة، ومفتاح سرها، وتاج جمالها وعقد جيدها، ذلك لأن النسيج الأسلوبى لهذه الآية، وإن كان ظاهره إنشائيا، فإنها - أي الآية - قد تكون قابلة للخبرية في دلالتها العميقة، حيث إن الكلام لا يمتنع في سياقه من أن

يتحول من شكل الاستفهام إلى وظيفة تقريرية، وكأن تقديره في الأسلوب المباشر البسيط: "ما كان ينبغي لكما أن تنكرا أيادي الله عليكما أيها الثقلان!"⁽⁸⁾ معنى ذلك أن هناك انزياحا دلاليا بحيث يمكن أن يقرأ على غير الاستفهام، وقد ترجمت على النحو التالي:

Lequel des bienfaits de votre seigneur nierez-vous?

وهي جملة لا يفهم منها سوى الاستفهام، ولا نلمس ذلك الانزياح الدلالي الذي نلمسه في النص الأصلي.

2- المستوى الإفرادي:

إن افتقاد النص المترجم للتناغم الصوتي الموجود في الآية دفعنا إلى تتبع ترجمة ألفاظ القرآن الكريم التي لم يصرح بمعناها، أو التي اكتسبت دلالات إيحائية مرتبطة بسياق القرآن الكريم، كقوله سبحانه وتعالى في الآيتين 14 - 15 من سورة البقرة ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، ترجمت كالآتي:

14. Quand ils rencontrent ceux qui ont cru, ils disent; «nous croyons»; mais quand ils se trouvent seuls avec leurs diables; ils disent « nous sommes avec vous; en effet nous ne faisons que nous moquer (d'eux) ».

15. C'est Allah qui se moque d'eux et les endurcira dans leur révolte prolongera sans fin leur égarement.

ففي قوله سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ جزاء للمنافقين الذين أرادوا الاستهزاء بالمؤمنين، بقولهم "آمنا" كذبا

وبختانا منهم، فرد عليهم سبحانه استهزاءهم بالذين آمنوا، حتى أكد أن الاستهزاء منه لا منهم بقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ مشكلة لهم. والمفسرون يجمعون على أن الله يتعالى عن أفعال البشر، فتأكيد الاستهزاء منه عز وجل لم يكن حقيقة، أما ترجمة الآية بقولهم: C'est Allah qui se moque d'eux تأكيد الاستهزاء من الله بلفظة c'est دون الإشارة إلى المعنى الحقيقي الذي يتضمنه هذا التأكيد.

وفي موضع آخر يترجم قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ 93/ البقرة، بقولهم:

Dans leur impiété, leurs cœurs étaient passionnément épris du veau (objet de leur culte).

Impiété: mépris pour les choses de la religion.

Epris: devenu passionné.

ويتبين الفرق بين النص الأصلي وترجمته من خلال كتب التفسير التي أجمعت على أن مفهوم الإشراب هو "مخالطة المائع الجامد، والتوسع فيه حتى صار في اللونين، قالوا: وأشربت البياض حمرة أي خلطتها بالحمرة، ومعناه أنه داخلهم حب عبادته كما داخل الصبغ الثوب، وقال ابن عرفة يقال أشرب قلبه حب كذا أي حل محل الشراب ومازجه"⁽⁹⁾ وهو من المجاز، لأن فعل الشرب عمل بيولوجي يتطلب فاعلا حيا ومفعولا سائلا. غير أن استعماله في الآية جاء استعمالا مجازيا، وهو على حذف مضافين على حد قول أبي حيان. أي حب عبادة العجل⁽¹⁰⁾ فاستعيرت لفظة الإشراب للدلالة على مبالغتهم في حب العجل الذي

غلب على قلوبهم، وإن كان المعنى أعمق بكثير لأن الآية أريد منها صورة العجل وليس فقط المبالغة في حبه⁽¹¹⁾ واختير الشرب دون الأكل لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها، وأما الطعام فقالوا: هو مجاز لها غير متغلغل فيها، ولا يصل إلى القلب منه إلا اليسير.

غير أن المقصود من عبارة épris du veau هو الوله والهيام بالعجل وهي ترجمة لامست معنى الآية ولكنها لم تنقل المعنى المجازي المراد من توظيف لفظة الإشراب دون غيرها، والأمر ذاته عندما رجعنا إلى لفظة (خادع) في قوله تعالى الآية 09 من سورة البقرة ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ حيث جاءت المخادعة في الفعل "خادع" من اثنين، يقول أبو حيان: "... ومخادعة الله لهم حيث أجرى عليهم أحكام المسلمين واكتفى منهم في الدنيا بإظهار الإسلام، وإن أبطنوا خلافه ومخادعة المؤمنين لهم كونهم امتثلوا أحكام المسلمين عليهم وفي مخادعتهم هم للمؤمنين فوائد لهم من تعظيمهم عند المؤمنين والتطلع على أسرارهم فيفشيونها إلى أعدائهم".⁽¹²⁾

ترجم النص على النحو التالي:

Ils cherchent à tromper Allah et les croyants mais ils ne trompent qu'eux-mêmes, et ils ne s'en rendent pas compte.

إن المتمعن في هذه الترجمة يلاحظ جيدا الفارق الكبير بين نص الآية الذي وظف فيه الفعل خادع الدال على المشاركة كما أوضح ذلك أبو حيان، وبين النص المترجم الذي يخلو فيه الفعل من هذه المشاركة، ولا ندري أيضا لماذا وظف الفعل (chercher) في النص الذي ينفي وقوع فعل المخادعة، فالمعنى في السياق المترجم هو البحث عن خداع الله والمؤمنين أو توفر نية الخداع، وليس وقوع المخادعة من الطرفين كما توضحه الآية وأكده المفسرون.

ونحن نسوق هذه الأمثلة تبين لنا أن المترجم ينظر إلى معنى اللفظ من حيث استعمالاته اللغوية، دون أن يلتفت إلى الأبعاد الدلالية التي يختص وينفرد بها اللفظ القرآني بناء وتركيباً، وكذلك من حيث تعامله مع ما يجاوره من الألفاظ. لهذا كله قادنا الفضول إلى معرفة ما إذا كان المترجم يهتم فقط بظاهر النص، أو يتطلع إلى المعاني المسكوت عنها في النص القرآني.

3- مستوى التركيب:

لم يدخر العلماء العرب جهداً في دراسة وتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، وتشهد مؤلفاتهم على هذا الجهد العظيم، الذي خدم اللغة العربية، وخدم بوجه خاص النص القرآني، حيث سهل مهمة المفسرين في تناول الآيات القرآنية بالوصف والتحليل للكشف عن الانسجام والتناسق الحاصل بين التراكيب القرآنية.

فمثلاً الآيات التي بدئت بها سورة البقرة تعد آية في البلاغة وحسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لجيئها متآخية أخذاً بعضها بعنق بعض⁽¹³⁾، إذ لما ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين وجزاءهم، أعقبه بذكر صفات الكافرين وجزاءهم، دون أن يستعمل الرابط بين الآيات، مع أن المعنى مختلف، وذلك بقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فعدم وجود الرابط بين الآيتين لا يخل بالمعنى إذ المتلقي كان يتقرب حديث القرآن عن الكافرين، لكنه لم يتوقع الحديث عن الفئة

الثالثة، وهي فئة المنافقين الذين جاء ذكرهم في ثلاث عشرة آية، لذلك جيء بحرف العطف للربط بين الآيات السابقة وما تلاها.

وعندما عدنا إلى ترجمة هذه الآيات، رغبت في التماس الانسجام الموجود بين النصوص، وتسلسل المواضيع بأسلوب شبيه بأسلوب الآيات الكريمة، غير أن المترجم وجد نفسه في حيرة عندما تعلق الأمر بالربط بين الآيات التي ذكر فيها المؤمنون وجزاءهم، والآيات المتعلقة بالكافرين وجزائهم: فوضع لفظة [Mais] بين معكوفتين، للدلالة على إمكانية استعمالها في هذا الموضع، أما عند ما تعلق الأمر بالنصوص المذكور فيها المنافقون تجنب المترجم الربط واكتفى بالقول:

Parmi les gens .

وفي موضع آخر يتعلق بالحروف، يتعامل المترجم مع النص بحذر مظهرها ما تم حذفه في النص الأصلي، يقول تعالى الآية 04 /الطلاق ﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ حيث حذف خبر المبتدأ ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ المعطوف عن المبتدأ الأول ﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ﴾ قدره المفسرون بقوله ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ جاءت ترجمة الآية على النحو التالي:

Si vous avez des doutes à propos (de la période d'attente) de vos femmes qui n'espèrent plus avoir de règles, leur délai est de trois mois, de même pour celles qui n'ont pas encore de règles, et quand à celles qui sont en enceinte, leur période d'attente se terminera à leur accouchement, quiconque craint Allah cependant il lui facilite les choses.

فقول المترجم:

De même pour celles qui n'ont pas encore de règles

يكون قد نقل المعنى بحذافيره مظهرها، ما حذف في النص الأصلي، فكانت ترجمته، بذلك، دقيقة إلى درجة أنه ألحق ترجمته بتعليق يوضح ما هو مبهم في الآية.

أما حين أردنا تتبع ظاهرة التقديم والتأخير في القرآن الكريم باعتبارها كنزا من كنوز البيان، وجدنا المترجم لا يعير لهذه الظاهرة أهمية كبيرة، والسبب يعود إلى خصوصيات اللغة الفرنسية، لذلك غاب هذا التلوين الأسلوبي من النص المترجم، نأخذ على سبيل المثال قوله تعالى في سورة الحاقة الآيات 30-31-32 ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ﴾ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾

30. Saisissez – le ! Puis mettez-lui un carcan

31. Ensuite, brûlez – le dans la fournaise

32. Puis liez – le avec une chaîne de soixante – dix coudées

وهي ترجمة سليمة، لأنها حافظت من ناحية، على المعاني الموجودة في الآيات الكريمة، ومن ناحية أخرى على مظاهر وخصوصيات اللغة الفرنسية، وقد سبق لنا الحديث عن افتقاد النص المترجم للتنعيم الصوتي الموجود في الفواصل المنتهية بها الآيات.

ناهيك عن بعض المظاهر الأسلوبية الأخرى والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالخطاب القرآني، نختار من ضمن هذه المظاهر ظاهرة الالتفات كونها أكثر فنون البلاغة انتشاراً في القرآن الكريم، يقول ابن حمزة العلوي: "واعلم أن الالتفات من أجل علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها"⁽¹⁴⁾ مثال ذلك، قوله تعالى في الآية 220 من سورة البقرة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»، الالتفات
في الآية عن الغيبة في قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ إلى الخطاب في قوله ﴿وَإِنْ
تُخَالِطُوهُمْ﴾، وحكمة هذا الالتفات ما في الإقبال بالخطاب على المخاطب
ليتهياً لسماع ما يلقي إليه، وقبوله والتحرز فيه،⁽¹⁵⁾ ولو جرى الخطاب على نسق
واحد لم تتحقق هذه الفائدة، لذلك كله حافظ المترجم على هذا التنوع في
الضمائر، وإن كنا لا نستطيع إدراك قيمة الالتفات في اللغة الفرنسية، كما ندرکه
في الأسلوب القرآني.

النص المترجم:

Sur ce monde et sur l'au – delà ! et ils t'interrogent au sujet des
orphelins dis: « leur faire du bien est la meilleure action si vous
vous mêlez à eux ce sont alors vos frères [en religion] » Allah
distingue celui qui sème le désordre de celui qui fait le bien. Et
si Allah avait voulu, il vous aurait accablé, certes Allah est puissant
et sage.

كما نجد أيضا ظاهرة العدول الزمني التي وظفت بكثرة في السياق
القرآني، ودفعت علماء المسلمين إلى إعمال العقل للبحث في دلالة هذه الأزمنة
التي قد لا توافق سياق الآية كقوله تعالى في الآية 01 من سورة النحل ﴿أَتَى أَمْرُ
اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، حيث أن الفعل "أتى"
استغرق كل الأزمنة، فهو ماض دال على المستقبل البعيد، لذلك نجد المترجم
يبتعد عن العدول الزمني ويحتفظ بالمعنى المراد من الفعل الماضي، يقول:

L'ordre d'Allah arrive. Ne le hâtez donc pas gloire à lui ! Il est au
dessus de ce qu'on lui associe.

وأَتبع المترجم النص بتعليق بسيط يؤكد فيه أن الله بقوله ﴿أَتَى﴾ يخبرنا بأن أمره آت لا محالة وهو يوم الحساب، بذلك يكون المترجم قد أجاد في نقل معنى الآية إلى اللغة الفرنسية.

خاتمة:

كانت هذه بعض النماذج التي انتقيناها من القرآن الكريم الغني بمثل هذه الأساليب البلاغية وغيرها، والتي تعكس بحق إعجاز كتاب الله الكامن في الطبيعة الخطية للغة العربية، والتي تخضع خضوعاً إلزامياً للنظام اللساني العربي بكل مظاهره وضوابطه، فالعوامل التركيبية التي توقفنا عندها من عطف وحذف وتقدم وتأخير ليست غريبة عن الأسلوب العربي، ولكن عندما حيك بها كلام الله تعالى صارت أكثر بيانا للمعنى، بل أصبحت صورا من صور إعجاز القرآن الكريم، الذي حدد بدقة لا متناهية تعاقب وتسلسل العلامات اللغوية في نسق تركيبى فريد لم يشهد العرب مثيلاً له. مما يجعل مهمة المترجم أكثر صعوبة، بل شبه مستحيلة؛ لأنه لن يتمكن أبداً من نقل معاني القرآن الكريم برمته إلى لغة أخرى لخصوصية الأسلوب القرآني، ولأن إعجازه - كما سبق وأن ذكرنا - كامن في لغته.

هوامش:

- 1- حديجة، لسانيات الخطاب القرآني - مظاهر الاتساق والانسجام، ص 385.
- 2- الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، ط 1، سنة 1982، ج 2، ص 461.

- 3- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، د.ط، ص26.
- 4- القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية، ص2.
- 5- عبد العزيز فارس، التناسب القرآني وآليات اشتغاله من خلال الخطاب التفسيري (البحر المحيط نموذجاً)، رسالة لنيل دكتوراه دولة في الآداب، الدار البيضاء. المغرب 2002-2003 مخطوط، ص113-115 بتصرف.
- 6- تفسير الكشف، ج1، ص408.
- 7- أبو حيان النحوي الأندلسي، تفسير البحر المحيط تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وزكرياء عبد المجيد النوني وأحمد النجولي الجمل ط2، 1422-2001 دار الكتب العالمية بيروت، لبنان، ج8، ص189.
- 8- عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني (تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان)، دار هومة للطباعة والنشر الجزائر، دت، ص201-203.
- 9- تفسير البحر المحيط، ج1، ص308-309.
- 10- المصدر نفسه، ج1، ص308.
- 11- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية، ط1 مطبعة السعادة، مصر، 1326، ص209.
- 12- تفسير البحر المحيط، ج1، ص57.
- 13- الزمخشري، تفسير الكشف، ج1، ص120-123.

- 14- طه رضوان طه رضوان، تلوين الخطاب في القرآن الكريم، دراسة في علم الأسلوب وتحليل النص، دار الصحافة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 2007، ص67.
- 15- تفسير البحر المحيط، ج1، ص171.